الأبحاث

بقلم عبد اللطيف شراره

ذكرى الوحدة

يحاول الدكتور ادريس في مقاله هذا ، ان يبين انتصار الوحدة ، بعد ان شكك فيه المشككون ، والواقع ان الوحدة كفكرة ، لا تختلف عن القومية كأساس ، فهما جانبان لشيء واحد ، والوحدة العربية قائمة فكريا بقيام القومية العربية ، وتلازمهما واضح لا يحتاج الى دليل ، ما دامت « القومية » هي الرابطة بين أجزاء الامة الواحدة .

بيد ان نقل الوحدة من حيز الفكر الى الواقع ، هو الذي يدور عليه مقال الدكتور ادريس ، ومثاله ما جرى بين مصر وسوريا لعام مضى . وفي هذا المثال انتصرت الوحدة واقعا وعملا ... وكان الدكتور موفقا في بيان ذلك النصر .

غير ان الامر يلتوي بيد الدكتور سهيل حين يقول: «لن ينتظر الشعب العربي طويلا في العراق والاردن والسودان وتونس وفي كل تربة عربية اخرى ليهدم كل سد ينصبونه (الافراد والعملاء والضالون) في وجه التيار الوحدوي الواعي ... »

هنا ، لا يسعني الا ان اشير الى هذا الاغراق في التفاؤل ، والى انه تفاؤل ينطوي على نبوءة ، فالبلاء الذي تعانيه البلدان العربية الاخرى ، ويحول دون توحدها مع شقيقاتها ، اكبر مما نحسب . والتخلص منه يقتضي جهودا جبارة في داخل تلك البلدان وخارجها على السواء.

ذلك لان قوى البغي والعدوان والتفرقة ضاعفت جهودها في كل بلد عربي ، حين رأت ما حدث في مصر وسوريا ، ونشطت تبث البلبلة وتزرع الاضطراب ، وتأهبت لاحباط التيار الوحدوي منذ الان، فالحذر واليقظة لكل ما يجري في الاقطار العربية ، الزم الان من التفاؤل ، فضلا عن الاغراق فيه . وما من شيء يعين الشعب على تحقيق افكاره ، مثل ادراك الواقع وتفهم جميع ما فيه من صعوبات ومرارات وعراقيل .

« المعنى العقائدي لقيام الجمهورية العربية المتحدة »

الذي يبحث عن « معنى » شيء ، يطلب ، في عبارة اوضح ، تفسيرا له . وقد جرت العادة ، او تواضع العلماء، على قضية اساسية ، هي ان يكون التفسير اوضح مما يفسر .

وها هو الدكتور حسن صعب يحاول ان يفسر قيام الجمهورية العربية المتحدة عقائديا . ولاول مرة اقع على تفسير من هذا النوع لحادثة او ظاهرة اجتماعية وسياسية!

السؤال الذي يرد هنا ، هو : هل نفسر الانسان بعقيدته ، أم نفسر العقيدة بالانسان الذي يحملها ؟

اذا نحن آمنا ان الانسان هو الذي يصنع العقيدة — والدكتور حسن صعب مؤمن بذلك لانه يقول : ان للانسان قابلية روحية لان يتجاوز نفسه وكونه ، لما يستطيع هو ان يتصوره وان يراه اسمى وارفع منهما — كان تفسير الانسان بعقيدته لا يفضي الى شيء ، او كمن يفسر الماء بالماء .

اما اذا نحن عمدنا الى جعل الانسان هو المعيار ، وهو الاساس في كل معنى ، وفكرة ، وحادثة اجتماعية ، او سياسية ، كان حريا بنا ان نفسر العقيدة بالانسان الذي يحملها ، ولا عكس . وذلك لان العقائد قابلة لان تتحول وتتطور وتتغير ، والانسان هو الذي يحولها ويطورها ويغيرها ، بينما يظل لهذا الانسان « قواعد » عامية : وأسس ثابتة لا مندوحة عن الاخذ بها في ادراك واقعه .

لذلك ، ارى أنه كان على الدكتور صعب ان يبحث عن معنى « الكائن العربي » او المواطن العربي ، اذا شئت ، وما هو عليه من عقائد وافكار واخلاق ومثل عليا ، ومن يهتدي الى المعنى الكامن في قيام الجمهورية العربية المتحدة!

اننا لا نستطيع — ميتافيزيقيا — ان نستهدي الميتافيزيقي في تفسير حدث اجتماعي او سياسي ، الا اذا كنا نؤمن بالجبرية ، ونفكر تفكير الاشاعرة ، واذ ذاك نرد قيام الجمهورية العربية الى مشيئة الاله ، الى قوة لا رأي لنا في الاخذ بما تملي علينا ، ولا حيلة. بيد ان القول بمثل هذه الجبرية ، لا يؤدي الى «أخلاقية» سليمة ، وبالتالي يتنافى مع اخلاق العربي الحديث وتطلعاته ونضاله واجتهاده.

ثم تأمل كيف يفضي الدكتور صعب الى هذه النتيجة : « واخيرا فان الجمهورية العربية المتحدة هي من منبع الطبقة المتوسطة ، مدنية وعسكرية . والعقائدية المختلجة فيها هي الان عقائدية هذه الطبقة » .

هذا غير صحيح ، بكل بساطة ! الجمهورية العربية المتحدة من صنع الشعب العربي في اقليميها : السوري والمصري، والشعب لا يعني طبقة . واذا صح ما يقوله الدكتور صعب، كان معنى ذلك ان طبقة المعدمين وجميع من هم دون الوسطى رفضوا قيام الجمهورية ، أو لم يشتركوا في قيامها ، وان

الطبقة العليا كذلك رفضت او امتنعت عن صنع تلك الجمهورية . وبهذا تكون الجمهورية العربية المتحدة من صنع الاقلية . وذلك هو الذي قلنا انه « غير صحيح »

أما اعطاء الطبقة الوسطى عقائدية ، والعليا عقائدية ، والدنيا عقائدية ، فذلك يفيد ان ثمة عدة عقائديات ولكل طبقة عقائدية خاصة بها .

ازاء هذا الاضطراب العجيب في التفكير اسأل : « أين هو اذن المعنى العقائدي؟ » ثم لاي نوع من العقائديات ينتمي؟ وهل هنالك معنى واحد ام عدة معان تختلف باختلاف العقائديات والطبقات ؟

الذي أراه ، ان نقطة الانطلاق في بحث الدكتور حسن صعب كانت غامضة ، مغلوطة ، فأفضى الى هذا الاضطراب في النهاية .

« لبنان والوحدة »

هذا البحث من اروع واصدق ما كتب عن علاقة لبنان بالقومية العربية، فهو في تقريراته العامة يواجه الواقع بجرأة وقوة ، وفي نتائجه التي ينتهي اليها ، يستخدم كل ما في المنطق الانساني من محبة واخلاص وانصاف .

بيد ان لي ملاحظة على عرض الواقع في لبنان وتقسيمه الى لبنانين : عربي ولا عربي ، هي أهمال الجانب التاريخي في تتبع الجذور ، والبحث عن الاسباب ، فلو ان الاستاذ مغيزل اقترب من هذه الناحية ، وان اقترابا طفيفا ، لوجد بكل يسر وسهولة ان « اللبنانيين المحجمين يتنحون عن الحركة العربية » لا « لانهم يعتقدون ان العروبة تعني سيطرة اكثرية دينية، على اقلية دينية ، وانها . . وانها . . » وحسب ، فهناك عامل اخر مزدوج ، هو ان هؤلاء اللبنانيين لا يعتقدون هذه الاعتقادات الا تأثرا بالاجنبي ، واخذا لما يقول وينشر ويعلم ويذيع ، ثم ان هذه الاعتقادات التي اشترك فيها أولئك اللبنانيون مع الاجانب ، خلقت بين الطرفين ضربا من التعاطف افضى في نهاية المطاف ، الى دعوة الاجانب لاحتلال لبنان ، الى الغاء عيد الجلاء ، الى احياء العصبيات البالية التي اكل الدهر عليها وشرب ، الى تفرقة المجتمعات في داخل لبنان، الى . . .

هذه المظاهر الاخيرة كلها ، بجملتها وتفصيلها ، ترجع الى تعاطف بعض اللبنانيين مع الاجانب ، تعاطفا كيانيا شاملا ، فلا يصح القبول بها ، ولا يجوز غض النظر عنها . وقد قاومها احرار لبنان، ووقفوا ضدها ، الا انهم لم يوفقوا بعد، الى اجتثاث جذورها ، وهم لم يوفقوا ، لان مقاومتها لا تكون في فترات ، ولا تصح في ساعات ، ولا تفعل فيها الخطابات والتصريحات وانما تستلزم عملا متواصلا ، في البيت ، في المدرسة ، في الشارع ، في تنظيمات الدولة اللبنانية وادارتها العامة .

يجب القضاء على جميع اسباب الخلاف بين اللبنانيين، ولاسيما في الجانب القومي من تفكيرهم ، وقد سبق للبنان ان كان حامي حمى العروبة ، والنافخ في بوقها ، وسبق لرجالات لبنان ان كانوا حماة لغة العرب . فما عدا مما بدا ؟ . .

ـ شيء واحد ، ان الاجانب انقلبوا على القومية العربية وناهضوها ، فمشى معهم في هذا الخط بعض اللبنانيين . اما الجانب الاخر ـ العربي ـ في لبنان ، فشأنه لا يختلف في كثير ولا قليل ، عن العرب في العراق والاقليم السوري وحتى في اليمن وليبيا ، أي أن تربيته القومية لا تزال ضعيفة ، وحسه المدني ما يزال ضئيلا ، واذا كان يقابل « التخلي اللبناني » كما يعبر الاستاذ مغيزل ، بما لا يصح ان يقابله به ، فلأنه لم يرتفع بعد الى المستوى من الوعي القومي الذي تفرضه مثل هاتيك الظروف . ولن يرتفع مستواه الا اذا اتحد اللبنانيون في الحفاظ على استقلالهم .

تلك هي الحلقة المفرغة التي يدور فيها لبنان من تفكيره القومي وحياته السياسية . ولا سبيل الى تفكيكها الا بالتشديد على استقلال لبنان ، في المرحلة الراهنة ، والسير وفق ما يقتضيه منطق الاستقلال ، من تحقيق للعدالة الاجتماعية والعمل الصامت وفق ما يقتضيه انضمام لبنان الى الجامعة العربية ، والتخلص من رواسب الانتداب والاحتلال ، الثقافية .

اذا سار لبنان في هذا الخط اجتماعيا وسياسيا وثقافيا كوحدة مستقلة ، كدولة ذات سيادة ، امكنه أن يكون قادرا على التأثير في حياة الدول العربية الاخرى ، وان يوجهها بالفعل ، لما فيه صلاحه وصلاحها ، وامكن للنضال الايجابي الذي يرسم الاستاذ مغيزل خطوطه ، في مقاله ، ان يؤدي الى نتيجة مثمرة .

أما ان يظل في لبنان ، من يدعو الى الاجانب ، في جميع المجالات والحقول الحضارية ، فان القضاء على اسباب البلبلة وعوامل الاضطراب في هذه البلاد الحلوة ، الجميلة، أمر عسير المنال . . في الوقت الحاضر ، على الاقل !

« التطور الاجتماعي »

هذا البحث مبني على تقرير اساسي ، وصفه الاستاذ علي بدور ، انه « وهم » . وذلك الوهم « اننا أمة لا تتطور » ويأخذ الكاتب بعد ذلك ، في عرض تاريخي مفكك ، مشوش تائه ، ليثبت وهمية هذا الوهم .

كتابان خطيران !

عارنا في الجزائر

لجان بول سارتر

الجلادون

لهنري اليغ

ترجمة عايدة وسهيل ادريس

دار الآداب

اود ان اسأل : « من هو ذلك المؤرخ او الباحث او العالم الذي تجرأ على اتخاذ مثل هذا القرار في شأن العرب ؟ »

اذا كان ذا قيمة ، او من أهل الرأي ، كان مقال الاستاذ بدور في محله ، واذا كان واحدا من اولئك المخرفين ، الذين احترفوا التخريف ، فلا معنى للاهتمام به ، لان احدا لم يقل بصراحة ، وهو ذو رأي يعتمد ، ان العرب لا يتطورون.

العرب ـ في واقع تاريخهم ـ أمة ابداع وعبقرية ونضال، والذين تنقصهم هذه المعاني انما هم الاتراك كمجموعة، وحين استولى الاتراك على مقدرات العرب، اساءوا الى هذه الامة، وعطلوا مواهبها ، ولم يفهموا شيئا من روحها واصالتها ، فأصاب العرب ما يصيب كل شعب لا يملك أمره . .

هذا صحيح ، وقد بينه الاستاذ علي بدور ، ولكن تحت عنوان « اين وقف تطور الامة العربية » فوقع في الوهم الذي اراد ان يبدده . والحقيقة هي ان تطور العرب لم يقف ، ولكن تسلط الاتراك العثمانيين، وهم الذين لم يخدموا الحضارة في شيء وكانوا عالة على الامة العربية في كل ما حققوا من سطوة وانتشار ، هو الذي عرقل تطور الامة العربية ، ولا يزال يعرقله ـ بفعل الاثر التاريخي ـ الى اليوم ، ولكنه لم يتمكن قط من وقفه .

بقي ان اشير الى قضية خطيرة ، لا يزال يقع في اخطائها الكثيرون ، هي « ذكاء الاستعمار » اذ حسب الاستاذ علي بدور مع الحاسبين ان « الاستعمار كان ذكيا فوجد ان خير وسيلة للقضاء على العروبة لغة وتاريخا ، ان ينشر ثقافته . . . »

ليس لي من دليل ادحض به الرأي القائل بذكاء الاستعمار لاني اؤمن ان الاستعمار احمق ، بليد ، تافه ، دنيء ، سوى ما جرى في الهند ، وما يجري الان في الجزائر .

الهند قارة لها من اللغات والتواريخ والاديان ما يجعلها عدة أمم ، ولكن الاستعمار كان من الحماقة وافن الرأي وسوء الفهم ، ما جعله يرتجف هلعا وخوفا امام رجل مثل غاندي ، وجعل غاندي يضطره الى النكوص على عقبيه ، ويولي الادبار . فأين هو ذكاء الاستعمار ؟!

وها هي الجزائر ، لقد مضى على فرنسا فيها ما يقارب المائة والثلاثين من السنين ، وقد عمدت الى فرنسة البلاد في كل شيء ، حتى راودها الحلم في ان تجعل من الجزائر ارضا فرنسية ، ثم لم توفق الا الى اضحاك الدنيا وتقتيل الجزائريين وافقار الشعب الفرنسي . فأين هو ذكاء الاستعمار ؟!

ـ ان الذي لا يتطور ، ولا يتغير ، ولا يصطلح ، انما هو الاستعمار . هذا هو الذي لا ينفع فيه الا اخر دواء : الكي وهاهو يكتوي في كل ارض وطأتها قدماه !

ولو أن الاستاذ علي بدور انفق وقته في اثبات جمود الاستعمار ، لوجد من الادلة والبراهين اضعاف اضعاف ما وجد للتدليل على تطورية العرب !

« الشاعر القروي من خلال شعره »

هذه صورة يرسمها الاستاذ وديع فلسطين للشاعر القروي من خلال شعره ، تكاد تكون فوتوغرافية، بمعنى انها تختص ان تنظر بمنظار خاص للشعر وقائله .

لقد زرت الشاعر القروي لاسابيع خلت في فندق النورماندي ببيروت ، وكنت برفقة الاستاذ موسى الزين شرارة ، فرأيت فيه روحا هي النبل والاريحية والاستعلاء والصفاء والبراءة . وتذكرت ما حفظت من شعره ، اذ لم يبق من ابناء هذا الجيل من لم يتتلمذ عليه ، فسمعته في حديثه ونبراته ولمحته في اشاراته ، بيد اني وجدت ان الصورة التي يعطيها الاستاذ فلسطين ، وانا اقارن بين ما رأيت وقرأت ، لا تزال على نصاعتها ، تحتاج الى تعميق ، الى ربط بين خط وخط من ملامحها العامة .

ذلك بان الشاعر القروي ليس شاعرا وحسب ، ولا تقف به حياته على تخوم شاعريته ، وانما هو الى ذلك ، مناضل اجتماعي يقف على قدم المساواة مع بيتهوفن وغيره ممن عذبوا في الارض ، ومعلم من الافذاذ الذين لم ترضهم حياة الناس وما يعتورها من هنات ، فسعى الى اصلاحها وتبديل اسسها الاخلاقية بما يفرج ويبهج ويعلي وينير . . . وهذه الملامح البارزة من الشاعر القروي ، هي المهمة ، وهي ذات الشأن ، وقد أشار اليها الاستاذ فلسطين اشارة عابرة ، دون ابراز حسناتها والتأكيد عليها . .

« رسالة الى ابي »

الاستاذ رجاء النقاش ، في مقاله هذا ، عن كفكا ، مأخوذ بالدعاية اليهودية التي نشرها اليهود عن فتى مريض من بني جلدتهم ، وعظموه بها ورفعوه حتى بلغ السحاب .

الحقيقة ان فرانز كفكا لم يعط اثرا يخدم الانسانية ، على النحو الذي شاع في اوربا ، ولا هو على شيء من التماسك والانسجام والقوة في شخصيته . وقد أحس هو نفسه حين قارب النضج بهذه الحقيقة ، وطلب الى الاخرين ان يحرقوا آثاره .

ولكن اليهود أرادوا ان ينتفعوا من هذا الفتى الذي قضى ايامه باكيا ، منتحبا ، مظلم النفس ، فنشروا ما كتب ، وزينوه للناس.

صدر حديثا عن دار بيروت ودار صادر

عناقيد الغضب	ترجمة الدكتور فؤاد ايوب
رجل الدولة	ترجمة الدكتور اديب نصور
الشريف الرضي	تأليف الدكتور احسان عباس
من صعيد الالهة « قصائد لم تنشر »	لابو شبكه
غلواء «طبعة جديدة»	لابو شبكه

هذا كل ما هنالك ، ولا انصح قراء العربية بالاهتمام بكفكا وآثاره ، فهي صورة مشوهة عن كل ما يقوله ابو العتاهية الذي اظلمت الدنيا في عينيه لانه لم ينل يد احدى الجواري فزهد وراح يدعو الناس الى الزهد .

اما رسالته الى أبيه ، فانها لا تشرفه ولا تشرف أباه ، ولاتفيد الا الذين يهتمون بدراسة الشواذ في العلوم النفسية .. ولا احسب أن في العرب كلهم ، وألدا يعامل ابنه كما عامل ابو كفكا ابنه !!

« النزعة القومية المتحررة في الشعر العربي المعاصر »

لا يمكن ان يكون الشعر القومي ـ الوطني ، في العصر الحاضر ، منفصلا لدى العرب عن العصر الذي سبقه ، وكنت اترقب وانا اقرأ هذا المقال ، ان اقع على صلة الوصل بين المحدثين من شعراء الوطنية والذين سبقوهم في هذا المضمار بالزمن ، غير اني لم اقع على شيء مما ترقبت . ثم لم اقع على درس للنزعة القومية من خلال البحث . بقي ان نتساءل عن المبرر لهذا المقال ، ما دام الشعر الذي استشهد به الكاتب يشهد لنفسه ويقول شعرا ، ما يعلق به الكاتب نثرا؟

وأما انه « بات وأجبا مقدسا على الشاعر الموهوب ان يرصد الاحداث العظيمة التي يمر بها الوطن العربي، ويعكسها بصدق .. » فلا اجد لهذا التقرير الخطير اساسا من واقع .

ما الذي يحتم على الشاعر ان يشعر على هذا النحو او ذاك ؟ لا شيء .. وان ما يلتزم به الشاعر ، انما يلتزم به عن حرية كاملة ، شاملة ، مطلقة ان في التفكير وان في الاحساس وان في التعبير ، فكيف نتخول الحق في ان ندل الشاعر على ما هو « واجب » فضلا عما هو جائز ؟؟

الحرية في الشعور اصل او هي طبيعية تلازمه . ومعنى ذلك اننا لا نملك فرضها ولا نزعها ، فهي حقيقة يتقيد بها الشاعر عفوا من ذات قريحته ومنبت شعوره ، فاذا قصد اليها أو تكلف الاضطلاع بها ، فقد اهم ما لديه من فضائل، من حياة ، من عبقرية . وهذا يعني ، في التحليل الاخير ، ان الاستاذ خضر عباس الصالحي ، لا يملك ولا يحق له ان يعين للشاعر « بؤرة اهتمامه الفكري » ولا ما تعكس مرآة شعره من حركات .. لان الشاعر أذ يعين لنفسه ولفكره، يأخذ في التكلف ، ويخسر عمله قيمته ، وبالتالي ، تأثيره في النفوس .

« القضايا الانسانية في أفلام شابلن »

لا مشاحة ان شارلي شابلن، احد العباقرة الذين انتصروا للانسان في صراعه مع قوات الشر والعدوان ، في هذا العصر .

غير ان احدا لم يجل للناس في بلادنا هذا المعنى من سيرة شابلن واعماله ، سوى الاستاذ فاروق سعد ، في بحثه الممتع هذا ، لاسيما أن شابلن غير مجهول من الجمهور العربي ، وله فيه اكثر من معجبة ومعجب . وقد كنت اتمنى لو اوضح كاتب المقال ، عداوة شابلن للصهيونية ، بأكثر مما فعل ، اذ تحدث عن هذه الناحية بكثير من الايجاز والتعميم حين قال : « وعلى الرغم من ان شارلي يدين باليهودية : فان له اراء تهاجم دولة اسرائيل والحركة الصهيونية ... » وهو لو فعل لما خرج عن «نطاق موضوعه»، فأية قضية انسانية تفوق مقاومة الصهيونية في انسانيتها ؟ ؟! وذلك لا بالنسبة الى العرب وحدهم ، بل بالنسبة الى السلام العالمي كله .

وهناك حادثة مهمة في حياة شارلي شابلن ، كان لها اكبر الاثر في نقمته على اميركا والاميركيين وقوانينهم وتصرفاتهم التي لا تنطبق على شرع ولا قانون ، هي ان احدى الممثلات ادعت على شارلي شابلن بأبوة احدى بناتها ، وبالرغم من الادلة القاطعة والحجج الدامغة التي قدمها شارلي الى المحكمة اعلن براءته من أبوة تلك البنت ، قضت عليه بابوة ابنة ليست له ، واكرهته على تقديم النفقة لها .

هذه الحادثة خطيرة الاثر في نظر تشارلي شابلن للولايات المتحدة ، وكان جديرا بالاستاذ سعد ان يشير اليها في حديثه عن موقف شارلي من مأساة القلق والحرية ، وعن نظرته لاميركا عامة .. ولكن هذا البحث يظل قيما ، ممتعا، ومفيدا ...

عبد اللطيف شراره